الفصل الثاني

صورة العالم الآخر
في المسرح الإغريقي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى

صورة العالم الآخر فى المسرح الإغريقى

منذ أن أدرك الإنسان حتمية الموت ، شغل تفكيره بمشكلة ما بعد الموت ، لأنه لم يستطع أن يستوعب فكرة أنه بموته ينعدم وجوده تماما ويتلاشى كأن لم يكن .

إن التفكير فى الحياة الأخرى أو الوجود بعد الموت تأكيد لأهمية الحياة نفسها فلو أن حياة البشر انتهت بموتهم ، لكانت الحياة نوعا من العبث الذى لا معنى له ولا هدف .

ولقد شغل التفكير فى العالم الآخر ، عالم ما بعد الموت ، ذهن الإنسان فى كل زمان ومكان[1] ، ورغم أن كل شعب اختلف عن الشعب الآخر فى تصوره لذلك العالم ، فإن الجميع أجمعوا على وجوده . وعندما حاولت بعض الاتجاهات الفلسفية أن تنكر وجود حياة ما بعد الموت[2] ، لم يكتب لها النجاح ، وبقى إيمان الإنسان بوجود عالم آخر ، لأن الإنسان نفسه محتاج للإيمان بأن حياته لن تنتهى بموته وإنما ستكون لها بقية فى عالم آخر حيث يعيش فيه إلى الأبد .

ولقد كان هوميروس أول من قدم للإغريق تصوره لهذا العالم ، وحكى لهم قصة خلقه . ففى « الإلياذة » يحكى بوسيدون قصة خلق الكون فيقول إن الاخوة الثلاثة زيوس وهاديس وبوسيدون ولدوا من أبوين هما كرونوس وريا ، وقسمت بينهم جميعا الأشياء ، فأخذ كل منهم منطقته المخصصة له عن طريق القرعة[3] ، فكان البحر من نصيب بوسيدون ، وكانت السماء الفسيحة والأثير من نصيب زيوس ، أما الظلام الدامس فكان من نصيب هاديس[4] .

فأول ملامح الصورة التى يرسمها هوميروس للعالم الآخر هى الإظلام ، فالشمس الساطعة لا تصافح أشعتها وجوه الموتى سواء فى صعودها إلى كبد السماء ، أو حينما تهبط مرة أخرى إلى حضن الأرض ، إنما يلف الموتى التعساء ظلام حالك[5] .

والسمة الثانية للعالم الآخر عند هوميروس هى الكآبة . فعندما يلتقى أوديسيوس بروح العراف ترسياس ، تكون أولى الكلمات التى يخاطبه بها العراف هى[6] :

« ما خطبك أيها التعس ، لماذا تركت ضوء الشمس
وقدمت إلى هنا ، لترى الموتى ومنطقة لا مرح فيها ؟ » .

فمملكة الموتى ، كما يصورها هوميروس ، مكان كئيب مظلم لا يسر القلب أو العين لا يعرف المرح والسعادة إليه طريقا .

لقد تصور هوميروس أيضا أن العالم الآخر يقع فى مكان قصى فى أعماق الأرض وأن هناك العديد من الصعاب والعقبات التى تجعل من المستحيل على غير الموتى أن يصلوا إليه ، بل إن الموتى أنفسهم يصلون إليه بشق الأنفس[٧] .

والموتى ، كما يصورهم هوميروس ، يحيون فى العالم الآخر حياة الأطياف ، إنهم يشبهون فى شكلهم العام ما كانوا عليه قبل الموت – بل إنهم يلبسون نفس الملابس التى اعتادوا لبسها أثناء حياتهم ، لكنهم مجرد « أطياف » فاقدة لكل القوة التى كانت تسرى فى عروقها قبل الموت، وهو شكل من أشكال الوجود يناقض تماما ما كان عليه المحاربون الآخيون الذين يصورهم هوميروس فى ملاحمه[٨] .

لذلك كان من الطبيعى أن يتمنى أخيليوس لو ظل يعيش فوق الأرض وأن عمل أجيرا فى خدمة رجل آخر مهما كان حقيرا ضئيل الرزق ، على أن يكون سيدا على جميع الموتى فى العالم الآخر[٩] .

وينقسم العالم الآخر عند هوميروس إلى قسمين : القسم الأول يعاقب فيه أولئك الذين ارتكبوا جرائم فى حق الآلهة ، مثل سيزيفوس وتانتالوس وتيتيوس[١٠] ، وهم يعانون أشد أنواع العذاب وهم فى كامل وعيهم حتى يشعروا بما ينزل عليهم من عقاب[١١] .

ولم يكن العالم الآخر كما يصوره هوميروس مكانا للعقاب فقط ، بل هناك إشارة إلى مكان جميل يتواجد فيه الأخيار يسمى « السهل الألوسى » حيث تسير الحياة فى سهولة ويسر[١٢] . كما تشير إلى مكان بهيج آخر تسكنه أرواح الأبطال ويسمى « جزر المباركين » حيث تنبت أجمل الزهور[١٣] .

وتتميز الصورة العامة التى رسمها هوميروس للعالم الآخر بالضبابية وعدم الوضوح فلا يمكن أن تلمح فيما كتبه الكيفية التى يحيا بها الموتى فى عالمهم : كيف يقضون أوقاتهم ، ماذا يفعلون فى حياتهم اليومية فى ذلك العالم .؟

ولقد ظلت هذه الصورة الهومرية الضبابية للعالم الآخر سائدة ردحا من الزمن ، لكنها بدأت تتغير وتتضح معالمها بالتدريج[١٤] .

ثم ساعدت العبادات السرية المعروفة بالأسرار فى زيادة وضوح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن الإغريق ، لأن الهدف من هذه العبادات كان ضمان حياة سعيدة فيما بعد الموت[١٥] .

وأشهر هذه العبادات « الأليوسية» و«الأورفية » وعلى الرغم من اشتراكهما فى الاهتمام بمصير الإنسان فى العالم الآخر فإن بينهما اختلافا جذريا . فالأليوسية مجموعة من التعاليم والطقوس تعد من يقوم بها بحياة سعيدة بعد الموت[١٦] ، فى حين أن الأورفية نمط للحياة بحيث يستطع أن يسير على هداه من يطمع فى التخلص من عنصر الشر فى تكوينه لتسمو روحه وينال المصير الأفضل بعد الموت[١٧] .

فالأسرار الآليوسية – طبقا لما نعرفه عنها حتى الآن – لا تلزم أتباعها ومريديها بسلوك معين فى حياتهم اليومية ، إنما هى مجموعة من الشعائر والطقوس إذا قام بها الإنسان فى حياته ينال السعادة فى العالم الآخر أيا كان سلوكه فى حياته . لذلك كان من الطبيعى أن تثار حولها التساؤلات، ويقول أحد الفلاسفة ساخرا « هل ينعم لص فاجر بحياة أسعد فى هاديس لمجرد نه حفظ هذه التعاويذ وقام بأداء هذه الطقوس فى حين يحرم من ذلك المصير رجل صالح لمجرد أنه لم يقم بها ؟ »[١٨]. كما يسخر أرستوفانيس من فكرة أن ينال الإنسان مصيرا أفضل فى العالم الآخر لمجرد أنه تلقى هذه الأسرار ، فيجعل ترجايوس فى مسرحيته « السلام » يقترض ثلاث دراخمات ليشترى بها خنزيرا يضحى به ليتلقى هو الأسرار قبل موته حتى يضمن أن يعيش سعيدا فيما بعد الموت[١٩] .

ويكمن جوهر العقيدة الأورفية فى أن الإنسان خلق من عنصرى الخير والشر[٢٠] . ومن ثم يجب عليه أن يتبع نظاما يوميا حافلا بالنواهى الأخلاقية كى يقضى على عنصر الشر فى نفسه ومن ثم ينال الخلود الإلهى بعد موته[٢١] .

ويرى السيد W.K.C.Gutihrie أن العقيدة الأورفية بدأت تتلمس طريقها فى الوجود مع بدايات القرن السادس ق .م[٢٢] وأنها صارت فى القرنين الخامس والرابع ق .م أقوى المذاهب الدينية وأكثرها تأثيرا. وتجمع آراء القدماء والمحدثين على أن كثيرا من تعاليم الأورفية ، إن لم تكن كلها ، مأخوذة عن الديانة المصرية القديمة[٢٣] .

ولقد جعلت العقيدة الأورفية جل اهتمامها منصبا على الحياة بعد الموت ، وكان شغلها الشاغل كيف تصل الروح بسلام إلى العالم الآخر دون أن تتخبط فى الدروب المتشابكة ، ودون أن تحيد عن طريقها وسط الممرات المتشابهة . وكان على معلمى الأورفية أن يلقنوا الروح ما ستفعله لتهبط بسلام ، وما سوف تقوله لحراس العالم الآخر . حتى يسمحوا لها بالمرور والاستقرار فى أرض الأبدية والخلود – ولقد تبلورت هذه التعليمات فيما يسمى « بالألواح الذهبية » أو الألواح الأورفية[٢٤] ، التى كانت توضع مع الميت فى قبره أو تعلق فى عنقه على هيئة تمائم لتكون مرشدة فى عملية النزول للعالم الآخر وهى تتفق فى ذلك الهدف مع كتاب الموتى[٢٥] ، الذى حرص المصريون القدماء على وضع بعض نصوصه مع موتاهم فى القبور .

ولقد ساعدت العقيدة الأورفية فى زيادة توضيح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن الإغريق . وبدلا من تلك الصورة الهلامية التى يلفها الضباب التى رسمها هوميروس ، وصفت الألواح الأورفية العالم الآخر وصورته على أنه يشبه الأرض التى نحيا عليها لكنه أكثر جمالا وروعة ، ملئ بعيون الماء والأشجار . كما تصور الموتى على أنهم فى حالة أشبه بحالتهم وهم أحياء ، فلم يعودوا أطيافا هزيلة تهمهم بكلمات غير مفهومة لكنهم يتكلمون ويتحاورون مع حراس العالم الآخر .

ويوضح اللوح المسمى The Petelia Tablet ملامح هذه الصورة الجديدة فقد نقشت عليه سطور تقول[٢٦] :

« سوف تجد إلى يسار بيت هاديس عينا من الماء
وبالقرب منها ستجد شجرة سرو منتصبة
فلا تقرب البتة من هذه العين
ولكنك ستجد أخرى على مسافة من بحيرة الذكرى .
التى ينبعث منها الماء البارد والتى يقف أمامها الحراس .
فقل . أنا ابن الأرض والسماء المرصعة بالنجوم .
ولكنى من أصل سماوى وأنتم أنفسكم تعرفون ذلك .
أننى أشعر بالعطش الشديد .. آه وأنى لهالك .. فأعطونى فى التو .
الماء البارد الذى يتدفق من بحيرة الذكرى » .

يوضح هذا النص إلى أى مدى تأثرت العقيدة الأورفية بالديانات الشرقية بصفة عامة وبديانة المصريين القدماء بصفة خاصة .

فتصور أن الكون قد نشأ من زواج السماء والأرض هو فى الأصل تصور شرقى عرفته الديانة السومرية[٢٧] والديانة المصرية القديمة[٢٨] .

أما بالنسبة لطلب روح الميت رشفة ماء من بحيرة الذكرى فإننا نلمس فيها تأثير الديانة المصرية واضحا ، فقد كانت أقصى أمانى المصرى أن تشرب روحه الماء من يد أوزيريس حتى تنال الخلود والأبدية . ويرد فى كتاب الموتى أن أوزيريس كانت له عين من الماء البارد يسقى منها الأرواح ، ولقد انتشرت على شواهد القبور – حتى تلك التى تنتمى للفترة الرومانية – كتابة جملة « ليت أوزيريس يعطيك الماء البارد »[٢٩] .

وبسبب انتشار الأليوسية والأورفية بدأت صورة العالم الآخر تتضح فى ذهن الإغريقى ، ومع بدايات القرن الخامس ق .م . أصبح قادرا على تصور أدق التفصيلات التى ستراها روحه فى العالم الآخر .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يصف شاعر مثل بنداروس (٥١٨ – ٤٣٨ق .م) تلك الحياة التى سيحياها الأبرار فى النعيم بتفصيلاتها الدقيقة .

ففى إحدى الشذرات الباقية من « المراثى » يقول :

« مبارك هو ذلك الذى تلقى هذه الأسرار قبل موته ، لأنه قد عرف نهاية الحياة وعرف أصولها الآلهية التى وضعها زيوس . لذلك فإنه سينعم بضوء الشمس الساطع حين يسود عالمنا الظلام . وتمتد المروج مليئة بالزهور القرمزية أمام مدينتهم حيث الظلال الوارفة التى تنشرها أشجار البخور ، وحيث تطرح الأشجار ثمارا من ذهب . ولسوف ينعمون بحياتهم فيركب بعضهم الخيل ويشاركون فى الاحتفالات الرياضية فى حين يلعب بعضهم النرد ، بينما يجد آخرون لذتهم فى العزف على الهارب ، وتشيع بينهم البهجة وتفوح الأرض بعبق جميل ، بينما هم يفدون من كل فج ويتزاحمون حول مذابح الآلهة »[٣٠] .

هذه بالقطع صورة جديدة للعالم الآخر مختلفة تماما عما جاء فى ملاحم هوميروس ، فبدلا من الظلمة والكآبة ، ملأ ضوء الشمس الساطع المكان الذى بدأت تكسوه الألوان المبهجة ولم يعد الموتى أشباحا باهتة شاردة الذهن ، هائمة على وجوهها ، بل اكتست العظام لحما ودما وصار الموات نشاطا وحيوية تدب فى الأوصال ، فمارس الموتى كل

الألعاب والنشاطات التى كان ينعم بها أبناء الطبقة الراقية من ركوب الخيل والألعاب البدنية .

بل إن أنغام الموسيقى بدأت تتسلل إلى عالم الموتى لتحيله إلى عالم يلفه المرح والبهجة بعد أن كان المرح لا يعرف إليه طريقا .

هذه الصورة الوردية التى رسمها بنداروس لنوع الحياة التى تنتظر الأخيار لا تعنى أنه لم يتصور الجانب الآخر لهاديس ، فهو يصف العذاب المقيم الذى لا تستطيع عين أن تراه والذى يناله ذوو الأرواح الشريرة . وإن كان رسمه لهذا الجانب يعكس أيضا وضوح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن بعض الإغريق فى تلك الفترة[٣١] .

وقد تجسدت هذه الصورة الجديدة للعالم الآخر على جدران أحدى قاعات معبد دلفى والتى رسمها رسام شهير يدعى بوليجنوتوس وكان معاصرا لبنداروس[٣٢] يمثل رسم بوليجنوتوس زيارة أودسيوس للعالم الآخر التى وصفها هوميروس فى « الأوديسا » .

غير أن الصورة التى رسمها بوليجنوتوس جاءت مخالفة تماما لما صوره هوميروس ، لأنها انعكاس لما ساد المجتمع من أفكار جديدة حملتها العقيدة الأورفية والمذاهب الفلسفية المعاصرة .

فجاءت صورة بوليجنوتوس مليئة بالفتيات الجميلات المتوجات بالورود والأزهار ، اللاتى يلهين فى مرح وصخب بينما يقف أورفيوس وسط الأشجار الباسقات وقد أحاط به الموسيقيون من كل جانب وظهر الموتى فى الصورة وهم يمارسون كافة النشاطات التى كانوا يمارسونها من قبل ، ويستمتعون بكافة المباهج التى يتمتع بها الأحياء[٣٣] .

ولم يغفل بوليجنوتوس تصوير من يسامون العذاب فى العالم الآخر مثل تانتالوس وسيزيفوس وتيتوس الذين وصفهم هوميروس ، لكنه يضيف إليهم آخرين يعاقبون على أساس أخلاقى بحت : فالإبن الذى لم يرعْ أباه فى حياته يعاقب بالخنق ، وأولئك الذين لم يتلقوا تعاليم الأورفية يعاقبون بحمل الماء فى آنية مكسورة ، وهناك عائلة كاملة تصب الماء فى جرار مثقوبة ، وهذه العائلة تمثل من كانوا يستخفون بتلك الشعائر والطقوس أثناء حياتهم[٣٤] .

أما سقراط فقد أضفى مزيدا من الرومانسية على صورة العالم الآخر فى ذهن معاصريه لأنه اعتبره المكان الذى ينال فيه الحكماء ما كانوا يبغون من نقاء بعد أن يتخلصوا من صحبة الجسد[٣٥] .

وهذا التصور المثالى الذى جاء على لسان سقراط مبعثه نظرية أفلاطون القائلة بثنائية الإنسان ، فهو مكون من الجسد الفانى والروح الخالدة ، يحاول كل منهما – أثناء حياة الإنسان – أن يجذب الآخر إلى عالمه ، فالجسد يحاول أن يهبط بالروح إلى عالم اللذات الحسية ، بينما تحاول الروح أن تسمو بالجسد إلى عالم الروحانيات والمثل . وما الموت إلا انتصار للروح ، تهبط بعده إلى العالم الذى يمكنها أن تعيش فيه مع مثيلاتها فى نقاء خالص وخلود أبدى[٣٦] .

ولقد تأثر أفلاطون بالعقيدة الأورفية[٣٧] ، التى كانت متأثرة بدورها بالديانة المصرية القديمة ، لذلك جاء وصفه للعالم الآخر قريبا من التصور المصرى . فقد تصور أن الطريق إلى هاديس ملىء بالصعاب وبه العديد من الطرق المتشعبة والمتشابكة ، لذلك كان من الضرورى أن يصحب الموتى مرشد يدلهم على الطريق حتى لا تتوه الروح فى الطرقات[٣٨] وهو نفس التصور المصرى . كما جاء تصوره لعملية المحاكمة على درجة كبيرة من التحديد والوضوح ؛ فهناك ثلاثة قضاة يحاكمون الموتى : مينوس ورادامانثوس وأياكوس[٣٩] ، لكل منهم اختصاصه : فرادامانثوس يحاكم الأسيويين ، وأياكوس يحاكم الأوربيين ، بينما تحال إلى مينوس تلك الأحكام التى لا يصل فيها أحدهم إلى قرار محدد[٤٠] . وبعد إعلان الحكم وتحديد المصير يسير الموتى فى الطريق المؤدى إلى حيث يستقرون فى حياة ما بعد الموت ، فالأخيار يسلكون الطريق الأيمن الصاعد إلى السماء بينما يسلك الأشرار الطريق الأيسر المؤدى إلى تلك الحفرة التى لا نهاية لها ، تاتاروس[٤١] . وهو فى وصفه هذا يقترب كثيرا من التصور المصرى للعالم الآخر والطرق المؤدية إلى حقول الأبرار والجحيم[٤٢] .

ولقد أثرت تلك التيارات الفلسفية والعقائدية فى تصور الإغريق للعالم الآخر وأثرته . وهو ما انعكس بالقطع فى الإنتاج الأدبى بصفة عامة وفى المسرح بصفة خاصة . فالمسرح ، والمسرح الإغريقى بالتحديد ، ليس سوى مرآة تنعكس فيها صورة المجتمع بكل جلاء ووضوح .

وسنحاول فى هذا الفصل أن نحدد ملامح صورة العالم الآخر من خلال المسرحيات الإغريقية ، وإن كنا ندرك أن ما تقدمه هذه المسرحيات ليست الصورة الكاملة ، وذلك لكثرة ما فقد من التراث المسرحى ، الذى كان من الممكن أن يمدنا بالكثير من المعلومات عن تصور الإغريق للعالم الآخر لو أبقت عليه يد الزمان[٤٣] .

ولقد عكس كتاب المسرح الإغريقى بصورة عامة التصور الهرمى للعالم الآخر ، لكنهم لم يكونوا بمنأى عن التيارات الدينية والفلسفية المعاصرة التى عدلت من بعض ملامح الصورة ، وجعلت كلاً منهم يختلف عن زميله فى الزاوية التى ينظر منها للموت والعالم الآخر . وتبدأ رحلة الإنسان إلى العالم الآخر بزيارة إله الموت له وتتيح لنا مسرحية يوربيديس « ألكستس » فرصة التعرف على هذا الإله عن كثب ، فقد ظهر كأحد شخصياتها .

وإله الموت هو ابن ربة الليل[٤٤] وشقيق إله النوم وهو مكروه من الجميع ، بشرًا وآلهة ، لقسوة قلبه ، فهو لا يرحم صغيرا أو ضعيفا بل يفرق بين الأم ووليدها ، بين الولد وأبيه ، وبين الزوج وزوجته .

وهو لا يستمع لتوسلات الملتاعين ، بل يأتى بمنظره المرعب وملابسه السوداء[٤٥] حاملا سيفه البتار[٤٦] ليحيل الحياة إلى موات فاستحق بذلك كراهية الجميع .

وهو ذو وجه عبوس ، إذ تلمع عيناه ببريق أسود مخيف من تحت حاجبيه المعقودين وجبينه المقطب[٤٧] .

ولقد تخيله الأغريق بجناحين[٤٨] وذلك على ما يبدو لكى تسهل حركته ، ويستطيع أداء مهمته فى كل مكان .

وحين يأتى الموت لإنسان تنتهى صلته بعالم الأحياء ، وتبدأ رحلته إلى العالم الآخر قاطعا ذلك الطريق البغيض الملئ بالعقبات[٤٩] .

وأول العقبات نهر ستيكس (معناه الكريه) الذى يعبره الموتى بمساعدة خارون العبوس الذى يصيح فى تجهم فى وجه كل من يتلكأ فى ركوب قاربه العتيق[٥٠] . وهو دائم الغضب وفى عجلة من أمره[٥١] طول الوقت .

وإذا كان الطريق إلى العالم الآخر مليئا بالصعاب ، فإن الخروج منه هو المستحيل بعينه . فهناك ذلك المخلوق البشع كربيروس الذى يحرس بوابة مملكة الموتى ويمنع من يحاول الهرب منها ، كأنه يفتك بكل من يحاول دخول عالم الموتى وهو على قيد الحياة[٥٢] .

ولقد صورت الأساطير كربيروس فى صورة كلب ضخم له مائة رأس ، لكنه أصبح يصور فيما بعد على أن له ثلاثة رؤوس مخيفة وثلاثة أجساد[٥٣] فى حين تخرج الثعابين من رقبته وظهره[٥٤] .

ونظرا لصعوبة الرحلة ووعورة الطريق إلى العالم الآخر ، فإننا كثيرا ما نسمع الصلوات والابتهالات التى يرفعها الأهل والأقارب لهاديس وبرسيفونى ولكل القوى الأرضية كى تجعل رحلة الروح للعالم الآخر سهلة وآمنة[٥٥] .

وبعد الرحلة الشاقة تصل الروح إلى مملكة الموتى ، إلى هاديس الذى لا تدخله الشمس . ومن اللافت للنظر أنه بالرغم من أن العقيدة الأورفية قدمت صورة مشرقة للعالم الآخر وهو ما انعكس فى أشعار بنداروس وفى كتابات أفلاطون ، إلا أن المسرحيات الإغريقية ما تزال تصف العالم الآخر بأنه عالم مظلم[٥٦] .

وعلى ما يبدو فإن صفة الإظلام بالنسبة للعالم الآخر هى صفة اتفقت عليها أغلب الشعوب فقد قسم المصريون القدماء العالم إلى ثلاثة أقسام : السماء والأرض وقسم ثالث يخيم عليه الظلام حيث يعيش الموتى . كما تصور السومريون العالم الآخر أيضا كعالم يلفه الظلام والبرودة ، فهو عالم لا يرى الشمس على الإطلاق[٥٧] .

لذلك فإن كل شخصيات المسرحيات الإغريقية المقدمة على الموت لا يفوتها أن تقف لحظات تودع أشعة الشمس وضوء النهار ، لأنها لن تراها ثانية فى تلك المنازل التى لا تدخلها الشمس . فها هو أياس يقف قبل أن ينتحر ليودع الشمس قائلا[٥٨] :

« أننى أخاطبك أى ضوء النهار اللامع المشرق فى هذه اللحظة
ويا رب الشمس يا من تقود مركبتك
أخاطبك كآخر شىء وكنهاية ليس بعدها من شىء آخر أبدا » .

حتى أوديب ، الكهل الكفيف الذى لا يرى للشمس شعاعا ، لا ينسى أن يودع الشمس المشرقة قائلا : « يا ضوء الشمس هذه هى المرة الأخيرة التى يشعر فيها جسدى بحرارتك ، لأننى الآن فى طريقى لذلك العالم السفلى المظلم[٥٩] .

بل أن كل من يتحدث عن الموت فى المسرحيات يقرنه بالظلمة فى حين يقرن الحياة بالنور[٦٠] .

غير أن ذلك لم يمنع الإغريق من تصور إمكانية قضاء حياة سعيدة فى ذلك العالم[٦١] ، ففى مسرحية « الكستس » على سبيل المثال – يودع الكورس الكستس الزوجة الوفية متمنيا لها قضاء حياة سعيدة فى هاديس الذى لا تدخله الشمس[٦٢] .

ورغم أن الموروث الأسطورى يصور العالم الآخر كعالم متسع الأرجاء مترامى الأطراف فإن هذا الاتساع لم يمنع ورود فكرة أن يلتقى الإنسان فى هاديس بكل من كان يعرفهم أثناء حياته . ففى مسرحية « هيكابى » وقبل لحظات من تقديم بولوكسينى قربانا على قبر أخيليوس ، فإنها تسأل أمها عما تود أن تخبر به بريامـوس وهكتور حين تلتقى بهما فى العالم الآخر[٦٣] .

وعندما يكتشف أوديب الحقيقة ، فإنه يقفأ عينيه ، وعندما يعنفه الكورس على فعلته تلك يكون رده[٦٤] :

« إننى لا أعرف بأية عيون سوف أقوى على النظر
إلى أبى عندما أذهب إلى هاديس وأتطلع إليه
أو إلى أمى المسكينة ، هذان الإثنان اللذان
ارتكبت فى حقهما من الأعمال ما استحق عليه أكثر من الشنق » .

وكلمات أوديب هذه تعكس تصور بعض الإغريق أن من يموت كفيفا سوف يعيش كذلك محروما من نعمة البصر فى العالم الآخر .

والعالم الآخر مملكة يعيش فيها الموتى ويقوم بإدارة مقاليد الحكم فيها مجموعة كبيرة من الآلهة ، على رأسهم زيوس . فالمسرحيات الإغريقية تؤكد أن كبير الآلهة زيوس إله السماوات ببرقها ورعدها ، يشرف كذلك على العالم الآخر ، فهو يحاكم الموتى ويحدد لهم مصائرهم .

يقول داناؤوس فى مسرحية « المستجيرات لأيسخولوس »[٦٥] :

« ووفقا لما يقال فإن هناك (فى الدار الآخرة » زيوس
آخر بين الموتى يقاضيهم على آثامهم ويعقد آخر محاكماتهم » .

فقد عبد الإغريق زيوس باعتباره إلهًا فى العالم الآخر تحت اسم آخرZeus Meilichios[٦٦] .

ويروى بوسنياس Pausaniasأنه رأى فى كورنثا ثلاث صور جميعها تمثل زيوس : الأولى خالية من أى كتابة ، والثانية تحمل لقب الأعظم ، فى حين وصف زيوس الصورة الثالثة بأنه خاص بالعالم الآخر[٦٧] .

أما الإله هاديس الذى يجلس على عرش العالم الآخر وبجانبه زوجته برسيفونى ، فهو شقيق كبير الآلهة زيوس وبوسيدون إله البحر .

ولقد تم اكتشاف إناء فخارى نادر مرسوم عليه الأخوة الثلاثة باعتبارهم حكاما لهذا الكون ومع كل منهم رمزه : فرسم زيوس ومعه البرق ، بينما يحمل بوسيدون شوكته الثلاثية فى حين رسم هاديس متجها بوجهه إلى الخلف[٦٨] ، وكأن الفنان يريد أن يقول إن هاديس هو الإله الذى لا يجب النظر إليه وجهه ، إنه إله الموت الذى يبعث ذكره الرعب فى القلوب . ومن اللافت للنظر أن الإغريق كانوا يقدمون القرابين للإله هاديس بينما يشيحون بوجوههم إلى الخلف[٦٩] .

وصورة الإله هاديس يحوطها الغموض ، والرهبة بسبب ذلك الخوف الغريزى الذى يشعر به الأحياء تجاه الموت بالإضافة إلى كونه إله ذلك العالم البعيد الرابض فى أعماق المجهول . لذلك كان الإله هاديس أكثر آلهة الإغريق إثارة للكراهية[٧٠] .

لكن ذلك لا يعنى أنهم لم يبتهلوا إليه ويرفعوا إليه صلواتهم ويقدموا له القرابين وكان من عادتهم أن يبتهلوا إليه وهم يضربون الأرض بأيديهم[٧١] . وكأنهم يريدون لفت انتباهه ليسمع صلواتهم وابتهالاتهم ويتقبل قرابينهم . ولقد حاول كثيرون التعرف على ذلك الإله الغامض المسيطر على ذلك العالم الرابض فى أعماق المجهول . فيرى هوميروس أن أهم صفاته والتى اكتسب منها اسمه – أنه لا يظهر للعيان ، فهو الإله الذى لا يرى[٧٢] فى حين يرى أفلاطون أن اسمه يعنى الإله الذى يعرف كثيرا[٧٣] ، فى حين أن بعض الآراء توحد بين هاديس وزيوس ، وتجعل من الإله هاديس نظيرا لزيوس ، فكما يجلس زيوس على قمة جبل الأوليمبوس ليحكم الآلهة والبشر فإن هاديس يجلس على عرشه فى العالم الآخر ليحكم الآلهة والموتى[٧٤] .

فى حين أن بعض المسرحيات الإغريقية ، وكذا بعض الدراسات الحديثة تربط بين الإله هاديس وبلوتوس إله الثروة والذهب[٧٥] ولقد فسر هذا الربط بتفسيرات مختلفة منها أن الإغريق كانوا لا يجرؤون على ذكر أسماء الآلهة الخاصة بالموت والعالم الآخر ، لذلك كانوا يستخدمون أسماء أخرى ذات دلالة طيبة بدلا منها[٧٦] .

كذلك فسره البعض بأن الإله هاديس إله غنى فعلا لأن كل المعادن والثروات النفيسة تقع فى نطاق مملكته ، فى جوف الأرض[٧٧] أو لأنه يشرف على أكثر الممالك عددا ، تلك المملكة التى يتوافد عليها الوافدون فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار[٧٨] .

والإله هاديس عند أيسخولوس إله عظيم عادل ، يحاسب رعيته من الموتى بما قاموا به من أعمال فى دنياهم ، فهو لا يعاقبهم ولا يكافئهم كيفما اتفق ، كما أنه لا يتركهم دون حساب أو جزاء .

أنه يراقب كل أعمالهم ويسجلها حتى ينال كل إنسان بعد موته جزاء ما قدمت يداه فى حياته . لذلك يقول عنه الكورس فى مسرحية ايسخولوس « إلهات الرحمة »[٧٩] .

« ذلك لأن هاديس العظيم هو محاسب الفانين
فى العالم الواقع تحت الأرض ، فهو يراقب كل شيء
بعقله كلوح تسجل عليه الكتابة » .

وهاديس هو الإله الذى يرسل الإيرينيات للانتقام ممن يرتكب جرما أو يقترف إثما . ففى نفس المسرحية يؤكد أيسخولوس أن ربات الانتقام ، اللاتى يرسلهن هاديس ، سوف يمسكن بتلابيب أورستيس وسوف يحضرنه إلى العالم الآخر حيث يلقى عقابه على قتل أمه ، وهناك سوف يرى آخرين ينالون عقابهم لأنهم أخطأوا فى حق الإله ، أو لم يراعوا حرمة الضيف ، أو امتدت أيديهم بالأذى لوالديهم فيلقى كل منهم جزاء جريمته[٨٠] .

والواقع أن هذا التصور الايسخولى لأسس محاكمة الموتى وتحديد مصير كل منهم فى الحياة الأخرى يدفعنا إلى إعادة النظر فى ربط أيسخولوس « بالأسرار الأليوسية ، أو أن نعيد النظر فى حقيقة تلك الأسرار التى درج التراث على اعتبارها مجموعة من الشعائر والطقوس التى تضمن لمن يقوم بها المصير الأفضل فى العالم الآخر بغض النظر عن سلوكه الدنيوى. أن تصور ايسخولوس أن السلوك الدنيوى يحدد المصير فى العالم الآخر يجعلنا لا ننظر بارتياح للتصور الشائع للأسرار الأليوسية أو لانضمام ايسخولوس لها[٨١] .

أما برسيفونى شريكة هاديس فى عرشه فهى إبنة ديمتير وزيوس أو بوسيدون . ورغم كثرة الإشارات التى ترد عنها فى المسرحيات فإنها تظل شخصية غير واضحة المعالم .

ورغم أن يوربيديس يفرد جزءا كبيرا فى مسرحية « هيلين » ليروى قصة اختطاف هاديس لها وبحث أمها ديمتير عنها فى مختلف الأنحاء[٨٢] ، فإن ذلك لا يضيف جديدا بالنسبة لوضعها فى العالم الآخر وطبيعة دورها كملكة له ، وعلاقتها بأعضاء مملكتها من الموتى . ولا تزيد الإشارات التى ترد حولها فى المسرحيات عن وصفها بأنها زوجة هاديس وابنة ديمتير[٨٣] ، أو أنها سيدة العالم السفلى[٨٤] ، دون أن تضيف مزيدا من التفاصيل عن دورها كملكة للعالم الآخر.

والموقف جد مختلف بالنسبة لإله آخر من آلهة العالم الآخر ، هو هرميس الذى تسهب المسرحيات الإغريقية فى الإشارة إليه وتوضيح طبيعة دوره وتشير إليه المسرحيات دائما باسم « هرميس العالم السفلى » ، وهو لقب أطلق عليه باعتباره سيد الموتى ، ولقد انتشرت عبادته بهذه الصفة فى أماكن عدة ، فكانت تقدم له القرابين فى عيد الأنثيستيريا فى أثينا ، كما كان يقام احتفال فى بلاتيا لتمجيد من ماتوا أثناء المعارك وفيه تقدم القرابين لهرميس العالم الآخر[٨٥] . ولقد شاع استخدام اسمه هذا فى أعمال السحر التى يراد بها إيذاء الغير . ويبدو أن عبادته كانت شائعة ومنتشرة بدرجة كبيرة ، حتى أن قانونا قد صدر يحرم إقامة تماثيل له فوق القبور[٨٦] .

والمهمة الأولى التى يقوم بها هرميس هى إبلاغ البشر أحكام الآلهة ، كما أنه يوصل للآلهة وللموتى رسائل الأحياء إليهم[٨٧] .

لذلك فإن اليكترا تتضرع إليه قائلة[٨٨] :

« أيها الرسول الأعظم للعالمين العلوى والسفلى
أيا هرميس الأرضى استدع من أجلى قوى العالم السفلى
كى تستمع إلى » .

وهو أيضا الذى يقود أرواح الموتى ، إذا ما دعت الضرورة إلى صعودها إلى عالم الأحياء[٨٩] لذلك فإن الكورس يبتهل إليه فى مسرحية « الفرس » كى يبعث بروح الملك الراحل داريوس إلى النور . يقول الكورس مبتهلا[٩٠] :

« أيتها القوى الأرضية المقدسة
أيتها الأرض ، أيا هرميس يا ملك الموتى
فلترسلوا الروح من جوف الأرض إلى النور » .

أما أشهر صفات هرميس فهو أنه « مرشد الموتى » فهو الذى يقودهم فى دروب العالم الآخر المتشابهة ومسالكه المتشعبة[٩١] ويتخذ أفلاطون من وجود مرشد للموتى دليلا على أن الطريق للعالم الآخر صعب ومتشعب وبالتالى فهو يحتاج لمرشد يدلهم على الطريق ، وهو بذلك يرد على ما جاء فى إحدى مسرحيات ايسخولوس والمسماة « تليفوس » بأن الطريق للعالم الآخر واضح ومحدد[٩٢] .

ولم تكن مهام هرميس قاصرة على الموتى فحسب بل شملت الأحياء أيضا فقد كان إلها للتجار والرحالة بل واللصوص كذلك[٩٣] . فكأنه كان يحرس الجميع فى رحلاتهم ،

سواء فى رحلتهم الأخيرة إلى مملكة الموتى أو فى رحلاتهم العادية فوق سطح الأرض . لذلك فإن الإله أبوللون يستحلفه أن يرعى أورستيس فى تجواله ، فهو الإله الحارس[٩٤] .

ومن اللافت للنظر أن أول ما ينطق به أورستيس فى مسرحية « حاملات القرابين » هو اسم هرميس « العالم السفلى » ، إذ يتضرع إليه كى يكون منقذه وحليفه ، يقول أورستيس[٩٥] :

« أيا هرميس الأرضى ، يا من تتولى سلطة خولها لك أبو (الآلهة)
كن منقذى ، وقف حليفا لى فى قضيتى » .

وكذلك فى مسرحية « أليكترا » لسوفوكليس ، بينما يقوم أورستيس بقتل أمه وعشيقها ، فإن الكورس لا يتوجه لأى من آلهة الأوليمبوس العديدة طلبا للمساعدة إنما يتضرع إلى هرميس كى يمد لهم يد المساعدة وينتهى أورستيس من مهمته بنجاح[٩٦] .

وقد يقول قائل إن توجه أورستيس والكورس بالابتهال لهرميس توجه تلقائى جاء دون تفكير باعتبار أن هرميس أحد الآلهة التى يمكنها مساعدة الإنسان فى محنته ، ولكننا نعتقد أن التوجه لهرميس والتضرع إليه كى يساعد أورستيس فى خطته هو توجه مقصود . فالكورس يخاطب الجانب الخاص بالعالم الآخر فى هرميس ويطلب منه أن يساعد الابن فى الانتقام لأبيه الذى قتل غدرا وتعيش روحه معذبة فى عالم الموت فى انتظار الثأر من قاتلها .

فمساعدة هرميس سوف تسهم فى إقامة العدالة وفى استقرار روح أجاممنون فى العالم الآخر ، لذا يربط الكورس بين هرميس والأيرينيات باعتبارهن مراقبات لسلوك البشر ومنتقمات ممن يخرق ناموس الكون[٩٧] .

إن هذه الإشارات العديدة واللغة الرصينة التى يشار بها دائما لهرميس تدل على أن الإغريق قد أسبغوا قدرا كبيرا من القدسية والاحترام على شخصية الآله هرميس وعلى مهامه الآلهية .

وقد يتخذ البعض من المعاملة السيئة التى يلقاها هرميس على يد بروميثيوس دليلا على عدم التقدير والاحترام[٩٨] . ولكننا نعتقد أن هذه المعاملة يقصد بها إبراز غضب بروميثيوس من زيوس ، وثورته على هرميس ليست سوى ثورة غضب على رسول زيوس الذى يحاول أن يعرف السر الذى يخفيه بروميثيوس والذى يتعلق بمستقبل كبير الآلهة .

أما ربات الانتقام اللائى يسكن هاديس المظلم والمسميات بالأيرينيات فقد كن يُسببن الذعر والهلع لكل من يسمع اسمهن[٩٩] . ولقد اختلفت الآراء بشأن نسب الايرينيات ، فأتباع المذهب الأورفى يعتقدون أنهن بنات زيوس أو هاديس وبرسيفونى[١٠٠] لكن هناك اتجاهًا آخر يحيط مولدهن بالغموض ويتصور أن وجودهن قديم قدم الزمن نفسه ، فهن أسبق من زيوس ومن آلهة الأوليمبوس أجمعين[١٠١] . والأيرينيات – كما تقدمهم المصادر الأدبية ثلاث من حيث العدد ، لكنهن يعملن كفريق متجانس[١٠٢] .

ولقد كان أيسخولوس أول من وصفهن من حيث الشكل والمظهر ، فلم يزد هوميروس فى وصفهن أكثر من عبارة « الرعب الغير مرئى » لكنه لا يشير لمظهرهن وشكلهن الخارجى . لذلك تقول السيدة J. Harrison أنه فى إمكاننا الجزم بأنه لو سئل أحد عن شكل الإيرينيات قبل عرض مسرحية أيسخولوس لما عرف الجواب[١٠٣] .

وبعد أن يقتل أورستيس أمه ، فإنه يستعد للهرب لأن الإيرينيات قادمات للانتقام منه ويصفهن بقوله[١٠٤] :

« إنهن فى هيئة الجورجونات وفى ثياب
قاتمة ولهن جدائل شعر من الأفاعى المتزاحمة » .

كما تصفهن كاهنة أبوللون فى مسرحية « آلهات الرحمة » بأنهن جورجانات[١٠٥] ، وأنهن متسربلات بالسواد وذوات منظر كريه ومثير للاشمئزاز للغاية[١٠٦] وتستطرد الكاهنة فى وصفهن فتقول أنهن يغططن فى نومهن بأنفاس مثل الريح التى تدفع المرء إلى الخلف ، ومن عيونهن يتساقط رشح عفن ، يلبسن أردية حقيرة لا يصح ارتدائها فى حضرة أحد الآلهة أو حتى فى منزل للبشر[١٠٧] .

وفى نفس المسرحية يتحدث الإله أبوللون عن الايرينيات باستفاضة فيقول عنهن[١٠٨] :

« إن العذراوات البغيضات قد خلدن للنوم
بنات الليل المسنات ، اللاتى لا يجب أن يكون بقربهن
أحد من الآلهة ، أو إنسان أو حتى حيوان شرس » .

ثم يستطرد قائلا أنهن قد خلقن بمساعدة الشر ، وبسبب هذا الشر فإنهن يسكن تارتاروس المظلم الكئيب ، مكروهات من بنى البشر ومن آلهة الأوليمبوس[١٠٩] .

ولم تكن الأيرينيات أنفسهن بغافلات عن ماهيتهن وعن كراهية الجميع لهن ، بل أنهن يقلن عن أنفسهن[١١٠] .

« نحن بنات الليل الكريهات
إنهم يلقبوننا بالمنتقمات فى وطننا تحت الأرض » .

ونظرا لارتباط الإيرينيات بالليل ، فقد كانت تقام لهن الصلوات وتقدم لهن القرابين أثناء الليل[١١١] وهو ما تؤكده كليتمنسترا فى حديثها للأيرينيات النائمات ، فهى تحثهن بقولها أنها قدمت اليهن الكثير من القرابين فى ظلمة الليل ، فى ساعة ليست مكرسة لأى إله آخر[١١٢] . ومهمة الإيرينيات كما يشير إليها ايسخولوس ، هى الانتقام للدم المهدر والأخذ بثأر القتيل من القاتل[١١٣] .

ورغم القسوة البالغة التى اتصفت بها الإيرينيات فى مسرحيات ايسخولوس فإنهن لا يلحقن الأذى بكل إنسان ، فقط من يلوث يديه بدم ذوى القربى[١١٤] . أما من لم يفعل، فيمضى فى حياته سعيدا سالما ولا يناله منهن أذى[١١٥] .

فالإيرينيات يمكثن فى سكون ما دامت الأمور تسير على ما يرام ، ولكن إذا ما ارتكب أحدهم جريمة لطخ فيها يديه بدم ذوى القربى ، فإن تلك الربات الرهيبات ينشطن تدفعهن الرغبة فى الانتقام فهن ينتقلن من السكون إلى الحركة ومن النوم إلى اليقظة إذا ما توفرت تلك الجريمة ، أما إذا لم يحدث فإنهن يغططن فى نومهن بلا حراك[١١٦] ، وهو ما دفع بعض العلماء إلى اعتبار الأيرينيات روح الانتقام التى تبعث بها الضحية للانتقام من قاتلها[١١٧] .

وفى حين يفيض أيسخولوس فى وصف مظهر الإيرينيات البشع وشكلهن المخيف ، فإن سوفوكليس لا يشير لذلك بكلمة واحدة . لكنه يصفهن بالعذروات أبدا بل أنه يقول عنهن أنهن يمددن يد المساعدة لكل محتاج ويغثن الملهوف[١١٨] وهو ما ينبئ عن زوال تلك النظرة الكريهة لهن . وبينما يقصر أيسخولوس مهتمين على الانتقام ممن أهدر دم ذوى القربى ، يوسع سوفوكليس دائرة اختصاصهن ويجعلهن ينتقمن لكل إنسان يقع عليه ظلم .

لذلك فإن أياس يلجأ إليهن فى محنته طالبا أن يغثنه وينتقمن من أبناء أتريوس لما أوقعوه عليه من ظلم[١١٩] . بل إن مهمة الإيرينيات تأخذ فى الاتساع لتشمل عقاب كل من يخرق ناموس الكون . ففى مسرحية « أنتيجونى » يحذر تايرسياس كريون

من انتقام الإيرينيات منه ، لأنه أشاع الفوضى فى عالمى الأحياء والموتى وخرق ناموس الكون حين أرسل أنتجونى إلى القبر وهن على قيد الحياة ، فى حين حرم جثة بولونيكيس من حقها الطبيعى فى أن تدفن ، لذلك يتنبأ ترسياس أن كريون سوف يدفع الثمن قريبا ، وسوف يسمع العويل والنحيب يتردد بين جنبات منزله[١٢٠] لأن الإيرينيات اللائى يرسلهن الإله هاديس للانتقام ممن يرتكبون الخطايا سوف يجعلنه يدفع ثمن خطاياه[١٢١] .

وكما تتأرجح الإيرينيات عند أيسخولوس بين حالتى السكون والنشاط ، بين النوم واليقظة فإن إيرينيات سولوفوكليس يتأرجحن أيضا بين السكون والنشاط ، لكنه سكون مختلف عن سكون ايسخولوس . فسكونهن ، كما يصوره سوفوكليس ، ليس نوما أو نوعا من الغيبوبة إلى أن ترتكب جريمة تخرجهن من سكونهن ، بل هو سكون واعى يقظ . فهن يراقبن كل ما يفعله البشر ، ليكن فى جانب المظلوم ويغثنه ، وينتقمن من الظالم .

وتتجسد النظرة الجديدة لهن كإلهات للرحمة فى صلاة أليكترا[١٢٢] حيث تقول :

« أيا نزل هاديس وبرسيفونى
أيا هرميس العالم الآخر ، يا ربة الانتقام المقدسة
أيتها الإيرينيات المبجلات ، يا بنات الآلهة
يا من تراقبن من يلقون حتفهم ظلما
والذين تدنس مخادعهم
إحضرن ، وامددن يد المساعدة واطلبن الثأر
لمقتل أبينا » .

كما يتوجه أوديب كذلك بصلاته للإيرينيات ويتضرع اليهن أن يكن رحيمات به فى شيخوخته ، وأن تساعدنه فى المرور من الحياة إلى الموت كى ينال قدرا من الراحة بعد رحلة الحياة الشاقة التى كتبتها عليه الأقدار[١٢٣] .

أما فى مسرحية « أورستيس » ليوربيديس فإن الكورس يتضرع إلى الإيرينيات باعتبارهن إلهات الرحمة . كى يخلصن أورستيس من نوبة الجنون التى أصابته بعد جريمة القتل[١٢٤] .

وهو ما يؤكد أن الإيرينيات تحولن فى ذهن الأغريق من ربات للانتقام إلى ربات رحيمات يتضرع إليهن الإنسان فى وقت المحن والشدائد كى يأخذن بيده وينقذنه من محنته .

كانت هذه نظرة سريعة على آلهة العالم الآخر الكائن فى أعماق الأرض وسط ظلمات المجهول . غير أن بعض المسرحيات تشير إلى أنه مع منتصف النصف الثانى من القرن الخامس ق .م بدأت نظرة جديدة فى التبلور ، نظرة تعتبر هاديس بمكانه التقليدى فى أعماق الأرض مكانا للعقاب فقط أما أرواح الصالحين فتصعد إلى السماء[١٢٥] .

فى مسرحية « بنات تراخيس » لسوفوكليس تشير إحدى الشخصيات إلى هاديس باعتباره مكانا يذهب إليه الأشرار حيث يلقون جزاء أعمالهم السيئة ، وتقول[١٢٦] :

« وهكذا فإن أولئك الذين تمادوا فى التكبر
والإهانات اللاذعة صاروا الآن جميعًا من
سكان هاديس » .

وفى مسرحية « أوديب فى كولونوس » يتنبأ أوديب أن ولديه بولوينيكيس وأيتوكليس سوف يقتل أحدهما الآخر ، لذلك فإنه يلعنهما معا ، ويقول لبولوينيكيس غاضبا[١٢٧] :

« إننى أدعو ظلمة تارتاروس الأزلية[١٢٨]
البغيض أن تضمك بين جنباتها »[١٢٩] .

أما بالنسبة لمن يستحق التكريم من الموتى ، فإن شعراء التراجيديا خاصة سوفوكليس يقفون حائرين بين أن يجعلوهم ينزلون إلى هاديس المظلم « أو يجعلونهم يصعدون إلى السموات العلا » . وأفضل مثال على ذلك هو تردد سوفوكليس فى تحديد الكيفية التى اختفى بها أوديب هو قول اليكترا[١٣٠] :

« ولكن إمّا أن رسولا من أحد الآلهة (قد هبط وأخذه)
أو أن الأعماق المظلمة قد فتحت أبوابها فى محبة وترحيب » .

ثم تضيف اليكترا قائلة[١٣١] :

« إن أشياء غير مرئية قد أمسكت به
حاملة إياه إلى مصير غير محدد » .

وعلى الرغم من أن كلمات أنتيجونى هذه لا توضح تماما إلى أين يذهب أوديب بعد موته ، فإنها ترجح أكثر احتمال أنه صعد إلى السماء حيث الآلهة المباركين .

وقد اعتقد البعض أن الموتى أو المميزون منهم على الأقل – يصعدون إلى السماء حيث يتحولون إلى نجوم متلألئة تشع نورا إلى الأبد – وهو ما يشير إليه أرستوفانيس فى مسرحيته السلام »[١٣٢] .

ورغم سخرية أرستوفانيس ، فإن مجرد سخريته من هذا الاعتقاد تدل على انتشاره . ولقد شاع مثل هذا الاعتقاد فى الديانة المصرية القديمة إذ آمن البعض أن الملوك والمميزين من الموتى يتحولون بعد موتهم إلى نجوم ساطعة حيث تظل فى بقاء دائم إلى جانب الآلهة[١٣٣] .

ويرى السيد W.K.C. Guthrie أننا – أبناء العصر الحديث نستخدم تعبير « انتقل إلى السماء » للدلالة على الموت ، وهو ما يعنى أننا نتصور أن الموتى يأخذون طريقهم إلى السماوات العلا ، وليس إلى عالم آخر يوجد فى باطن الأرض ، ذلك المكان التقليدى للعالم الآخر الإغريقى[١٣٤] . وسواء كان ذلك العالم فى باطن الأرض أو فى السماء ، فإن الإنسان لم ولن يكف مطلقا عن التفكير فى ذلك العالم الذى يخفيه الظلام المطبق بين سحاباته[١٣٥] ، ومحاولة تصوره ، كى تطمئن نفسه وتهدأ مخاوفه .

الهوامش :

(١) Comperz. T.: The Greek Thinkers. A. History of Ancient Philosophy , Vol .III , P . 80 .

(٢) Ibid.PP . 65-66 ; Brandon , S .G .F . The Judgment of the Dead , PP . 86-87 .

شورون : الموت فى الفكر الغربى ص ٤١–٤٢ ، عبد الرحمن بدرى : خريف الفكر اليونانى ص ٦٨ : (الطبعة الثالثة) ، أدوين بيفان : الفلاسفة اليونان : ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه ص ٧٦ .

(٣) يعالق العالم الكبير N.Nilsson على أسطورة تقسيم الكون بين الإخوة الثلاثة فيقول إنها تمت بنفس الطريقة التى كان يقسم بها الملوك فى الحضارة الموكينية البلدان المهزومة بين أتباعهم .

Nilsson , M .P . : The Mycenaean origin of Greek Mythology , P . 247 .

(٤) Homer : IL . XV . 187-193 ; see also kerenyi , C . The Gods of the Greeks , PP . 203-204 .

(٥) Homer. Ody. XI,19

(٦) Ibid . 93-94 .

(٧) Ibid . 155-159 .

(٨) Guthrie , W .K .C. : History of Greek philosophy . P . 196 .

(٩) Homer : Ody . XI , 489-491 .

(١٠) Ibid . 516 , 582 , 583 .

(١١) Guthrie , W .K .C . : Orpheus and Greek Religion , P . 148 .

(١٢) Homer . Ody . XI , 538 .

(١٣) Ibid. 539.

(١٤) Guthrie , W .K .C . Op . Cit . P . 1119 .

(١٥) Guthrie , W .K .C . History of Greek Philosophy P . 197 .

(١٦) Comperz. T. Op. Cit. P. 83; Nilsson, M.P. la Religion Populaire dans la Grece Antique, P. 73; Brandon, S.G.F. The Judgment of the dead, P. 79.

(١٧) Guthrie W .K .C . Orpheus and Greek Religion P . 154 ; Murray , G . ; History of Ancient Greek literature , PP . 64-65 .

obeikandl.com

(١٨) Guthrie . W.K.C. : Orpheus and Greek Religion , P . 159 .

(١٩) أرستوفانيس : « السلام » ٣٧٤–٣٧٥ .

(٢٠) تحكى الأساطير الأورفية أن التياتن هاجموا ديونيسوس زاجريوس ومزقوا جسده ثم التهموه ، فأنزل زيوس صاعقة عليهم ومن رمادهم خلق الإنسان الذى احتوى على عنصر الخير ممثلا فى ديونيسوس وعنصر الشر ممثلا فى التياتن .

Guthrie , W.K.C. : Orpheus and Greek Religion P . 155 ; Murray , G . : History of Ancient Greek literature P . 65 ; Nilsson . M .P . : Greek piety pp . 22-23 .

(٢١) Harrison, J. Prolegomena, P . 477 ; Guthrie , W.K.C. : History of Greek Philosophy , PP . 197-198 .

(٢٢) Guthrie W.K.C. : Orpheus and Greek Religion , P . 46 The Orphic religion does not seem to have existed before the sixth century .

فى حين يتبنى السيد Norwood رأى I.M . Linforth والقائل بأنه لم يكن هناك وجود لديانة أورفية قبل القرن الثالث ق .م .

أما السيد G . Murray فيرى أنه بالرغم من أن الأدب الأورفى الذى وصلنا يرجع إلى القرن السادس ق.م. فإن إرهاصات العقيدة الأورفية ترجع إلى قبل ذلك بكثير.

Murray / G.: History of Ancient Greek literature P . 67 . G , Norwood : Pindar , P . 256 .

(٢٣) Herodotus II , 81 , Harris on J . : Prolegomena P . 454 , Cooke , H .P . Osiris , a study in myths . PP . 119-120 .

(٢٤) الألواح الذهبية أو الأورفية : عبارة عن ثمانية ألواح من الذهب ، وهى رقيقة للغاية ومنقوش عليها التعليمات التى يجب على الميت اتباعها . ولقد وجدت ستة ألواح من الثمانية فى جنوب إيطاليا وعثر على لوح بالقرب من روما ، بينما عثر على لوح آخر فى كريت وتوجد هذه الألواح حاليا فى المتحف البريطانى

Reinach , S . Cults , Myths and Religions PP . 122-123 , Harrison , J . : Prolegomena P . 572 .

(٢٥) كتاب الموتى : هو مجموعة لفائف من أوراق البردى تحوى نصوصا وتعاويذ وأدعية وصلوات ، الغرض منها طرد الأرواح الشريرة من المقبرة ، وتسهيل الطريق للميت فى رحلته للعالم الآخر . وقد سمى بهذا الاسم للعثور على نصوصه فى مقابر الموتى منذ عهد الدولة الحديثة

The Book of the Dead , trans by E .A .W . Budge ; P . LXXXIV , Budge E .A .W . : The Gods of the Egptians , Vol . II , P . 120 .

فلندرزبترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ١٤٢ .

(٢٦) Harrison , J . : Prolegomena P . 573 .

(٢٧) Kramer , S .N . : The Sumerians, Their History . Culture and character PP . 112-113 ; Sandars, N. K . : The Babylonian Creation PP . 22-25 .

(٢٨) أوزيريس في الديانة المصرية هو ابن الأرض (جب) والسماء (توت) انظر مقالة ردولف انتس : الأســـاطير في مصر القديمة «ضمن كتاب أساطير العالم القديم» نشر وتقديم د. صمويل نوح كريمر ترجمة د. أحمد عبد الحميد ص٣٣ .

(٢٩) Cooke , H .P . : Op . Cit . P . 15 , Harrison , J . Prolegomena P . 459 .

(٣٠) Frag . 114 , 129-130 ; Norwood . G . Pindar P . 61 ; Dickinson , G .L . : The Greek life P . 140 .

(٣١) Norwood , G . : Op . Cit . P . 62 ; Adkins . A .W .H . Merit and Responsibility A study in Greek values . PP . 140-141 ; Dickinson . G .L . : Op . Cit . P . 41 .

(٣٢) Rose , H .J . Ancient Greek Religion P . 125 .

(٣٣) Adkins , A .W .H . Op . Cit . 146 ; Grant , M . : Myhts of the Greeks and Romans P . 275 .

(٣٤) Adkins , A .W .H . : Op . Cit .. PP . 146-147 .

(٣٥) Plato : Phaedo , 65 ; Taylor , Introductory Readings in Metaphysics , P . 20 .

(٣٦) Plato : Phaedo 67-68 .

(٣٧) أدوين بيفان : الفلاسفة الإغريق ص ٧ .

(٣٨) Plato : Phaedo 108 .

(٣٩) Idem : Apology 40-41 .

لكن أفلاطون في بعض الأحيان يضيف قاضيا رابعا هو Triptolemus وفي أحيان أخرى يجعل كل أبناء زيوس ، الذين عاشوا حياتهم على الفضيلة والتقوى ، قضاة للموتى في هاديس .

(٤٠) Plato : Gorg . 524 .

(٤١) Idem : Phaedo 112-114 , Gorg . 524 .

(٤٢) Spencer , A .J . Death in Ancient Egypt . pp . 143-144 .

أ ، ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٦٣ .

(٤٣) إن ما وصلنا إليه من نتاج المسرح الإغريقي لا يزيد عن عشر ما أنتجه عمالقة المسرح . ففي مجال التراجيديا تنسب إلى ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس حوالى ثلاثمائة مسرحية ، وصلنا منها فقط ما يزيد قليلا على الثلاثين مسرحية

– بل أن هناك العديد من المسرحيات التى كتبها ايسخولوس فقط كان من الممكن أن تمدنا بكنز من المعلومات حول تصوره للعالم الآخر ، منها على سبيل المثال لا الحصر مسرحيات :

« مرشدو الأرواح ، تيليفوس ، والنشور »

Dindorfii . G . : Poetarum Scenicorum Graecorum , PP . 606-607 .

(٤٤) Bonnard , A . : Les Dieux de la Grece , Mythologie Classique Illestre , P . 253 ; Greene , W.C . Moira , Fate , Good and Evil in Greek Thought P . 17 .

عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية . الجزء الأول ص ١٣٧ .

ارتبط الموت فى ذهن الإغريق بالنوم ، لذلك جعلت منها الأساطير شقيقين توأمين ولهذا تكثر إشارة فى المسرحيات إلى أن الموت ما هو إلا نوم لا نهاية له ايسخولوس: «أجاممنون» ١٤٥١ ، سوفوكليس : « أنتيجونى » ٨١٠–٨١١ . يوريبيديس : « هيبوليتوس المتوج » ١٣٨٥–١٣٨٨ .

(٤٥) يوريبيديس : « الكستس » ٨٤٣ .

(٤٦) المصدر السابق ٧٤ – ٧٦ .

(٤٧) المصدر السابق ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٤٨) المصدر السابق ٢٦٠ .

(٤٩) المصدر السابق ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٥٠) المصدر السابق ٢٥٢ وما يليه .

(٥١) المصدر السابق ٢٥٧ ، سوفوكليس : أنتيجونى ٨١٠ – ٨١٦ .

(٥٢) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٥٧٠ وما يليه ،

14 D : who's who in Greek and Roman Mythology , P . 29 . Nilsson Kravitz , M . P . : The Mycenaean origin of Coreek Mythology P . 197 .

(٥٣) يوريبيديس : « هرقل مجنونًا » ٢٤ .

(٥٤) Graves , R : The Greek Myths , Vol . II , P . 152 .

(٥٥) سوفوكليس: « أوديب فى كولونوس » ١٥٥٦ – ١٥٦٤ ، ١٥٦٨ – ١٥٧٣ .

(٥٦) يوبيديس : « هيكابى » ٤٣٥ – ٤٣٦ ، سوفوكليس : « أنتيجونى » ٨٠٩ ، ٨٧٩ ، أياس ٣٩٤–٣٩٨ ، أوديب فى كولونوس ١٥٦٠–١٥٦٤ .

(٥٧) لمزيد من المعلومات حول تصور المصريين والسومريين للعالم الآخر كعالم مظلم انظر :

Brandon , S .G .F . : The Judgment of the Dead PP . 56-57 ; The Epic of Gilgamish , (trans . by N .K . Sandars) , PP . 106-107 ; Mackenzie , D .A . Egyptian Myth and Legend PP . 96-107 .

أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٦٢ .

(٥٨) سوفوكليس : « أياس » ٨٥٦ – ٨٥٨ .

(٥٩) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٥٤٩ – ١٥٥٢ .

(٦٠) سوفوكليس : « أياس » ٦٠٨ ، « أوديب فى كولونوس » ١٥٦٠ – ١٥٦٤ .

(٦١) يوريبدس : « الكستس » ١٧ – ١٨ ، ٢٠٥ – ٢٠٧ ، « هيكابى » ٤٣٥ – ٤٣٦ ، « هيلينى » ٣٢٠ ، ٣٤٠–٣٤٥ ، ٥٣١ ، « هرقل مجنونا » ٥٥–٥٧ ، « هيبوليتوس المتوج » ٨٣٦–٨٣٧ ، « أفيجينيا فى أوليس » ٤٨٤ وما يليه ، « اورستيس » ١٠٢٥ ، « الفينيقيات » ١٣٣٩ .

(٦٢) يوريبديس : « الكستس » ٤٣٥ – ٤٣٧ .

(٦٣) يوريبديس : « هيكابى » ٤٢٢ .

(٦٤) سوفوكليس : « أوديب ملكا » ١٣٧١ – ١٣٧٤ .

(٦٥) ايسخولوس : « المستجيرات » ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٦٦) Harrison . J . : Prolegomena P . 17 Zeus Meilichios is zeus in his underworld aspect , Zeus-Hades" ; see also Farnell , L .R . : The Higher aspects of Greek Religion . P . 21 .

(٦٧) Harrison . J . : Op . Cit . P . 18 .

(٦٨) Harrison , J . : Themis , A study of the social origin of Greek Religion P . 350 .

(٦٩) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 283 .

(٧٠) Ibid, p. 283 .

(٧١) Grves , Op . Cit . Vol . I , P . 122 .

(٧٢) Bonnard , A : Les Dieux de la Grece P . 247 .

(٧٣) Plato : Craty . 403 E .

(٧٤) .Farnell . L .R . : The cults of Greek States , Vol . III , P . 282

(٧٥) يوريبديس : « هيلينى ٩٦ ، الكستس ٣٦٠ » ، « هرقل مجنونا » ٨٠٦

See also Nilsson , M .P . : La Religion populaire dans la Grece Antique PP . 87-88 ; Bonnard , A . Op . Cit . P . 248 .

(٧٦) Farnell . L .R . : The cults of Greek States , P . 280 .

(٧٧) Graves , R . : The Greek Myths , Vol . I .P . 122 .

obeikandi.com

(٧٨) Bonnard . A . : op. cit p. 247 .

(٧٩) ايسخولوس : « الصافحات » ٢٧٣ – ٢٧٥ .

(٨٠) المصدر السابق ٢٦٧ – ٢٧٢ .

(٨١) Kerenyi , C . : The Gods of the Greeks P . 204 .

(٨٢) يوربيديس : هيلينى ١٣٠١ – ١٣٣٧ . أنظر أيضًا :

See also Muller , K .O . :

History of literature of Ancient Greece , PP . 230-231 ; Guthrie , W .K .C . : History of Greek Philosphy Vol . 1 , P . 475 Gods and Heroes by the American school of classical studies at Athens , P . 7 .

(٨٣) يوربيديس : « الكستس » ٣٥٩ – ٣٥٥ ، « ريسوس » ٩٦٣ – ٩٦٤ .

(٨٤) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٠٥٢ ، ١٥٤٨ ، ايسخولوس « حاملات القرابين » ٤٩٠ ، يوريبيديس : « الكستس » ٧٤٣–٧٤٦ ، ٨٥٢ ، « هرقل مجنونا » ٦٠٩ ، ١١٠٤ .

(٨٥) Farnell , L .R . ; op. Cit , Vol . P . 11 .

(٨٦) Ibid. p. 12 .

(٨٧) Murray , G . : Five stages of Greek Religion P . 55 .

(٨٨) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٢٣ – ١٢٥ .

(٨٩) Harrison , J . : Prolegemena , PP . 43-44 .

(٩٠) ايسخولوس : « الفرس » ٦٢٩ – ٦٣٠ .

(٩١) سوفوكليس : « أياس » ٨٣١ – ٨٣٤ .

(٩٢) Gods and Heroes P . 12 .

(٩٣) ايسخولوس : « الصافحات » ٩١ .

(٩٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١ – ٢ .

(٩٥) من بين الآلهة كان زيوس يسمى الأب . وكان هذا الاسم يستخدم أحيانا بمفرده للدلالة على زيوس ، وفى أحيان أخرى يقال زيوس الأب وكان كل من هوميروس وهسيودوس يستخدم عبارة أبو البشر والآلهة للدلالة على زيوس

Farnell , L .R . : oq , cit. Vol . V , P . 13 .

(٩٦) سوفوكليس : « اليكترا » ١٣٩٥ – ١٣٩٧ .

(٩٧) المصدر السابق ١١٠ – ١١٦

(٩٨) ايسخولوس : « بروميثيوس مقيدا » ٩٦٦ – ٩٦٧ .

(٩٩) Devereux , G . : Dreams in Greek Tragedy P . 151 .

(١٠٠) Kerenyi , C . : The Gods of the Greeks P . 42 .

(١٠١) Graves , R . : The Greek Myths , Vol . I , P . 122 42 .

(١٠٢) Kerenyi , C . : op. cit. P . 43 ; Donnard , A : Les dieux de la Grece P . 250 .

(١٠٣) Karrison , J . : Prolegomena P . 223 .

(١٠٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٠٤٨ – ١٠٥٠ .

(١٠٥) المصدر السابق : ١٠٤٨ – ١٠٥٠ .

(١٠٦) المصدر السابق : ٥٢ .

(١٠٧) المصدر السابق : ٥٣ – ٥٦ .

(١٠٨) المصدر السابق : ٦٨ – ٧٠ .

(١٠٩) المصدر السابق : ٧١ – ٧٣ .

(١١٠) المصدر السابق : ٤١٦ – ٤١٧ .

(١١١) Harrison , J . : Prolegomena P . 64 ..

(١١٢) ايسخولوس : « الصافحات » ١٠٦ – ١٠٩ .

(١١٣) المصدر السابق : ٣١٩ .

(١١٤) بالرغم من أن كليتمنسترا قامت بقتل زوجها فإن ربات الانتقام لم يقمن بمطاردتها والانتقام منها ، لأن قتل المرأة لزوجها لا يعتبر قتلا لذوى القربى فى حين يقمن بمطاردة أورسيتيس للانتقام منه لقتله أمه .

(١١٥) ايسخولوس : « الصافحات » ٣١٢ – ٣١٥ .

(١١٦) Devereux . G . Op . Cit . P . 154 .

(١١٧) Ibid PP . 153-154 ; Greene , W .C . : Op . Cit . P . 17 .

(١١٨) سوفوكليس : « أياس » ٨٣٥ .

(١١٩) المصدر السابق : ٨٣٥ – ٨٣٨ .

(١٢٠) سوفوكليس : « أنتيجونى » ١٠٧٨ – ١٠٧٩ .

(١٢١) المصدر السابق : ١٠٧٤ – ١٠٧٦ .

(١٢٢) سوفوكليس : « اليكترا » ١١٠ – ١١٦ .

(١٢٣) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٠١ – ١٠٣ .

(١٢٤) يوريبيديس : « اورستيس » ٣١٧ – ٣٢٦ .

(١٢٥) Guthrie , W.K.C; Orpherus and Greek Religion P . 185 .

(١٢٦) سوفوكليس : « بنات تراخيس » ٢٨١ – ٢٨٢ .

(١٢٧) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٣٨٩ – ١٣٩٠ .

(١٢٨) تارتاروس هو غور سحيق فى باطن الأرض ، فهو يقع فى أعماق الأرض لذلك حبس فيه زيوس التياتن حتى لا يكون هناك أدنى أمل فى خروجهم ، فهو يبعد عن هاديس مقدار بعد الأرض عن السماء . لكنه استخدم فيما بعد ، خاصة على لسان التراجيديين ، كمرادف لكلمة هاديس

Lexicon Universal Encyclopedia , Vol . 19 .

(١٢٩) « إريبوس » : هو مكان يوجد فى ذلك الظلام الممتد بين الأرض وهاديس وكان الموتى يمرون به أثناء نزولهم إلى هاديس ، وأريبوس المجسد هو ابن الخواء وشقيق الليل

Lexicon Universal Encyclopedia , Vol . 17 .

(١٣٠) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ١٦٦١ – ١٦٦٢ .

(١٣١) المصدر السابق : ١٦٨٢ – ١٦٨٣ .

(١٣٢) ارستوفانيس : السلام ٨٣٢ – ٨٣٣ .

(١٣٣) Spencer , A J . : Death in Egypt P . 140 .

أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٣٨ .

(١٣٤) Guthrie , W.K.C; Orpherus and Greek Religion P . 185 .

(١٣٥) يوريبيديس : هيبوليتوس المتوج ١٩٠–١٩٣ .